الشرح المأمول

على

ثلاثة الأصول

لِلإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

ت ١٢٠٦هـ رحمه الله تعالى

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ وبعد.

فهذا تعليق مختصر علىٰ كتاب **«الأصول الثلاثة»**، لشيخ الإسلام

المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٢٠٦هـ)؛ وقد تضمن هذا الكتاب المبارك أربع رسائل؛ وهي:

الرسالة الأولى: المسائل الأربع التي تضمنتها سورة العصر وهي:

- العلم.
- العمل بالعلم.
- الدعوة إلىٰ الله بالعلم.
- الصبر علىٰ الأذىٰ في سبيل تبليغ العلم.

الرسالة الثانية: ثلاث مسائل يجب علىٰ المسلم تعلمها والعمل بها، وهي:

- أن الله خلقنا ورزقنا، ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسلًا.
- أن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه أحد غيره في عبادته.
- الولاء والبراء.

الرسالة الثالثة: الحنيفية ملة إبراهيم؛ واشتملت علىٰ:

- معنىٰ الحنيفية.
- أعظم ما أمر الله به.
- أعظم ما نهىٰ الله عنه.

الرسالة الرابعة: الأصول الثلاثة، وهي:

- معرفة الله.
- معرفة الإسلام.

- معرفة محمد ﷺ.

ثم ختم الكتاب بعدة موضوعات منها:

- الإيمان بالبعث.
- الإيمان بالرسل.
- الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

هذا والله أسأل أن يغفر لنا الذنوب والزلات إنه نعم المولىٰ ونعم النصير.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

١٤٣٢/١/١٥هـ

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد التميمي[(١)].

مولده:

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١١١٥هـ في بلدة العيينة من أرض نجد، ونشأ فيها[(٢)].

طلبه للعلم:

قرأ القرآن قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم، سريع الإدراك يتعجب أهله من فطنته وذكائه، ثم اشتغل بالعلم وجَدَّ في طلبه، وبعد بلوغه قدّمه والده إمامًا في الصلاة، ثم حج، وأقام بها شهرين، ثم رجع إلىٰ بلده واشتغل بالقراءة علىٰ مذهب الإمام أحمد، ثم رحل إلىٰ البصرة والحجاز مرارًا، ورحل إلىٰ الأحساء فسمع من مشايخها[(٣)].

شيوخه:

أخذ العلم عن عدة مشايخ أجلاء وعلماء فضلاء؛ من أشهرهم[(٤)]:

---

(١) انظر: «مشاهير علماء نجد»، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، صـ(١٦).
(٢) انظر: السابق، صـ(١٦-١٧).
(٣) انظر: السابق، صـ(١٧).
(٤) انظر: السابق، صـ(١٧).

١- أبوه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان.

٢- الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي.

٣- الشيخ العالم محمد حياة السندي المدني.

دعوته:

عند ما انتقل والد الشيخ إلىٰ حُرَيْمَلاء التي كان يعمل فيها قاضيًا بدأ الشيخ ينشر الدعوة إلىٰ التوحيد جاهرًا؛ وذلك سنة ١١٤٣هـ، ثم غادرها بسبب تآمر نفر من أهلها عليه لقتله، ثم توجه إلىٰ العُيَيْنَة وعرض دعوته إلىٰ أميرها عثمان بن معمر الذي قام معه بهدم القبور، والقباب، وأعانه علىٰ رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذلك، فلما كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال شكوا إلىٰ شيخهم رئيس بني خالد فكتب إلىٰ عثمان يأمره بقتله أو إجلائه، فأمر بإجلائه، فخرج الشيخ منها وهاجر إلىٰ الدرعية فنزل ضيفا علىٰ عبد الله بن سويلم، ثم انتقل إلىٰ تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، وكان عليها الأمير محمد بن سعود، وكان كغيره من الأمراء يسمعون عن الشيخ، ولم يسمعوا منه.

علمت زوجة الأمير بقدوم الشيخ، وكان قد هداها الله، وسمعت بدعوته، فقالت لزوجها الأمير: إن هذا الرجل غنيمة ساقها الله لك، فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته، فما زالت به حتىٰ أقنعته؛ فقال لها: قولوا له يأتيني، فقالت: إذا طلبته قال الناس: يريد أن يعذبه، أو يقتله، ولكن اذهب إليه أنت كي يقدره الناس، فذهب إلىٰ الشيخ، فعرض الشيخ عليه دعوته فشرح الله ﷻ صدره للدعوة، ومن ذلك الوقت قامت

الدعوة في الدَّرْعِيَّة، وجلس الشيخ للتدريس، وصار الطلاب يتوافدون علىٰ الشيخ؛ فنفع الله بالشيخ الناس في البلاد شرقًا وغربًا(١).

مؤلفاته:

صنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصنفات كثيرة، من أشهرها(٢):

١- كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله علىٰ العبيد.

٢- أصول الإيمان.

٣- فضل الإسلام.

٤- كشف الشبهات.

٥- مسائل الجاهلية.

٦- مختصر زاد المعاد.

ثناء العلماء عليه:

قال سليمان أخو الإمام محمد بن عبد الوهاب: «**كان عبد الوهاب أبوه -أي: محمد- يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه، ويقول: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام**»(٣).

وأنشد العلامة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني فيه قصيدة أثنىٰ عليه فيها بقيامه بالتوحيد وبإلزامه من تحت يده إقامة شعائر الإسلام(٤).

---

(١) انظر: «مشاهير علماء نجد»، صـ(١٨-٢٥).
(٢) انظر: السابق، صـ(٢٦).
(٣) انظر: «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، للشيخ إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي، صـ(١٣١).
(٤) انظر: السابق، صـ(١٣١).

وأثنىٰ عليه العلامة الشوكاني، فقال: من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة[١].

وأثنىٰ عليه الألوسي، فقال: شديد التعصب للسنة كثير الإنكار علىٰ من خالف الحق من العلماء من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر[٢].

وقال ابن بدران: «**وَلما امْتَلَأَ وطابه من الْآثَار وَعلم السّنة وبرع فِي مَذْهَب أَحْمد أَخذ ينصر الْحق ويحارب الْبدع ويقاوم مَا أدخلهُ الجاهلون فِي هَذَا الدّين الْحَنَفِيّ والشريعة السمحاء... وَلم يزل مثابرا علىٰ الدعْوَة إِلَىٰ دين الله تَعَالَىٰ حَتَّىٰ توفاه الله تَعَالَىٰ**»[٣].

وقال: «**فأصبح ابن عبد الوهاب ذا شهرة طبقت العالم الإسلامي وغيره معدودا من الزعماء المؤسسين للمذاهب الكبرىٰ والمغتربين بفكرهم أفكار الأمم**»[٤].

وفاته:

توفي الشيخ في الدَّرْعِيَّة سنة ١٢٠٦هـ يوم الاثنين آخر شهر شوال، وصلي عليه في بلدة الدرعية؛ ورثاه جمع من العلماء منهم الإمام محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥].

---

(١) **انظر**: السابق، صـ(١٣٣).

(٢) **انظر**: السابق، صـ(١٣٨).

(٣) **انظر**: «المدخل»، لابن بدران، صـ(٤٤٧).

(٤) **انظر**: «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي»، للشيخ محمد بن الحسن الحجوي (٢/٤٤٦).

(٥) **انظر**: «مشاهير علماء نجد»، صـ(٢٦).

متن الرسالة

[الرسالة الأولى]

[المسائل الأربع التي تضمنتها سورة العصر]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

المسألة ال أُولَى: الْعِلْمُ: وَهُو مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر:١-٣]

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَابُ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ

قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

[الرسالة الثانية]

[ثلاث مسائل يجب على المسلم تعلمها والعمل بها]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزَّمل:١٥-١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ، وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

[الرسالة الثالثة]

[الحنيفية ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ]

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ؛ وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَمَعْنَى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

[الرسالة الرابعة]

[الأصـــول الثـلاثـــة]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

[الأصل الأول]

[معرفة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]؛ وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ، وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فُصِّلَت:٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا

وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

[أنواع العبادة]

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ كُلُّهَا للهِ تَعَالَى؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»(١).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٣٧١)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة»، وضعفه الألباني.

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر:٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «**وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[1].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفَلَق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»[2].

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان:٧].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٦٦٩)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨).

[الأَصْلُ الثَّانِي]

[معرفة دين الإسلام]

الأصلُ الثاني: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ؛ وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

[المرتبة الأولى]

المرتبة الأولى: الإسلام؛ فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران:١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الإِثْبَاتِ «**لا إِلَهَ**» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، «**إِلا اللهُ**» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ

وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٢٦-٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البيِّنة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

ﭐلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

[المرتبة الثانية]

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا: قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩].

[المرتبة الثالثة]

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ؛ وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، كما في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل:١٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا**»؛ قَالَ: صَدَقْتَ؛ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ؛ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؛ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»؛ قَالَ: صَدَقْتَ؛ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؛ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»؛ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؛ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»؛ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؛ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟**»؛ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

[الأَصْلُ الثَّالِثُ]
[معرفة النبي ﷺ]

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة.

نُبِّئَ بـ﴿ٱقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ؛ و هاجر إلى المدينة، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدَّثر:١-٧].

وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾: أَيْ عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ؛ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ؛ ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت:٥٦].

قَالَ البَغوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ

الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[(١)].

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثل الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ؛ وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر:٣١].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٩٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٦٨٥)، وأحمد (١٦٩٠٦)، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصححه الألباني.

[الإيمان بالبعث]

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه:٥٥].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح:١٧-١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن:٧].

[الإيمان بالرسل]

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

[معنى الطاغوت]

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ؛ وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٦٥]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ

الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[١].

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله، وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٢٢٠١٦)، وصححه الألباني.

الشَّرْح

[الرسالة الأولى]

[المسائل الأربع التي تضمنتها سورة العصر]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى:**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُو مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَابُ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

الشَّرْح

قوله: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: ابتداء المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسيًا بالنبي ﷺ في مكاتبته، ومراسلاته؛ والبداءة بها للتبرك، والاستعانة علىٰ ما يُهْتَم به.

قوله: «اعلم»: العلم هو أعلىٰ مراتب الإدراك، وهو إدراك الشيء علىٰ ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

قوله: «رَحِمَكَ اللهُ»: أي غفر الله لك ذنوبك.

قوله: «أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا»: الواجب: هو ما طلب الشارع فعله علىٰ سبيل الحتم، والإلزام بحيث يثاب فاعله امتثالًا، ويستحق العقاب تاركه.

قوله: «تَعَلُّمُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ»: مسائل: جمع مسألة، وهي ما يُبَرْهَنُ عنه في العلم؛ أي يلزم علىٰ كل فرد تعلم هذه الأربع مسائل.

قوله: «المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ»: أي العلم الشرعي، وهو قسمان:

١- فرض عين: هو ما يلزم فعله من جميع أفراد المكلفين.

٢- فرض كفاية: هو إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين.

قوله: «وَهُو»: أي العلم الشرعي.

قوله: «مَعْرِفَةُ اللهِ»: أي بما تعرَّفَ به إلينا في الكتاب، وسنة

رسوله ﷺ من أسمائه، وصفاته وأفعاله ﷻ.

قوله: «وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ»: لأنه لا نجاة، ولا فلاح إلا باتباع سنته ﷺ.

قوله: «وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ»: أي الذي تعبَّد الله ﷻ الخلق به.

قوله: «بالأَدِلَّةِ»: أي من الكتاب، والسنة؛ والأدلة: جمع دليل، والدليل هو ما يُوَصِّلُ إلىٰ المطلوب.

قوله: «المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ»: العمل ثمرة العلم، فالذي عنده علم، ولا يعمل به شر من الجاهل.

قوله: «المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ»: أي تجب الدعوة إذا حصل العلم والعمل كما هي طريقة الرسل، وأتباعهم؛ ويُبدأ بالأهم فالأهم من شرائع الإسلام.

قوله: «المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ»: أي علىٰ الأذىٰ في الدعوة؛ لأن من قام بالدعوة إلىٰ الله فقد تحمل أمر عظيمًا، وقام مقام الرسل في الدعوة فحينئذ لا بد أن يؤذىٰ فعليه أن يصبر، ويحتسب.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ وَرَقَةَ بنَ نَوفل قَالَ للنَّبيِّ ﷺ عِنْدَمَا قَصَّ عليهِ خَبَرَ الوَحي: لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ[1].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

والصبر: هو حبس النفس علىٰ طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله ﷻ.

فائدة: الصبر ثلاثة أقسام:

١- صبر علىٰ طاعة الله.

٢- صبر علىٰ أقدار الله.

٣- صبر علىٰ مكاره الله.

قوله: «وَالدَّلِيلُ»: أي علىٰ هذه المسائل الأربع.

قوله: «﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾»: أي الدهر، وأقسم الله به لأهميته.

قوله: «﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾»: أي كل الناس، والألف واللام للجنس؛ جنس الإنسان.

قوله: «﴿لَفِي خُسۡرٍ﴾»: أي في خسارة وضلال.

قوله: «﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾»: أي آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، والقدر خيره وشره.

قوله: «﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾»: أي الأعمال الصالحة التي تعبدنا الله بها.

قوله: «﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾»: أي بالإيمان، والعمل بالكتاب، والسنة، والدعوة إليهما.

قوله: «﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾»: أي علىٰ أداء الفرائض وإقامة أمر الله وحده.

لقد نبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه السورة علىٰ أن كل الناس في خسارة وهلاك إلا من حقق أربعة أمور:

الأول: الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الثاني: العمل الصالح.

الثالث: الدعوة بالعلم.

الرابع: الصبر علىٰ الأذىٰ في الدعوة.

قــولـه: «قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ»: الشافعي: هو محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور؛ توفي سنة٢٠٤هـ.

قــولـه: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»: أي أن هذه السورة كافية للخلق في الحث علىٰ التمسك بدين الله، وبالإيمان بالله، والعمل الصالح، والدعوة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والصبر علىٰ ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

قــولـه: «وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ»: هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري صاحب أصح كتاب بعد القرآن الكريم؛ توفي سنة ٢٥٦هـ.

قــولـه: «بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ»: ترجم البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبداءة بالعلم؛ لأن تعلم العلم الفرض مُقَدَّمٌ علىٰ القول، والعمل؛ وذلك لأن قول المرء وعمله لا يصلح إلا إذا صدر عن علم؛ لقول

النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرنَا فَهُوَ رَد»[١]؛ أي مردود عليه.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ»: أي علىٰ وجوب البداءة بالعلم قبل القول، والعمل.

قــولـه: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾»: أي العلم شرط في صحة القول، والعمل فلا يعتبران إلا به فهو مُقَدَّمٌ عليهما؛ لأنه مُصَحِّحٌ للنية المصحِّحَةُ للعمل.

قــولـه: «فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»: أي لا يُبْدَأُ إلا بالأهم فالأهم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٤١)، ومسلم (١٧١٨).

[الرسالة الثانية]

[ثلاث مسائل يجب على المسلم تعلمها والعمل بها]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى:**

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِلَ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾﴾ [المزَّمل:١٥-١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ، وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢].

الشَّرْح

قــولـه: «اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ»: أي اعتقاد معانيهن.

قــولـه: «الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا»: أي أوجدنا من العدم.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور:٣٥].

قــولـه: «وَرَزَقَنَا»: أي النعم؛ لنستعين بها علىٰ ما خلقنا له.

قــولـه: «وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا»: أي بلا غاية، ولا هدف.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

[المؤمنون:١١٦].

فائدة: قد انقسم الناس في الغاية التي خلقنا الله من أجلها فريقين:

أحدهما: كافرون: هم الذين ظنوا أن الله خلقهم عبثًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص:٢٧].

الثاني: مؤمنون: هم الذين أيقنوا أن الله ما خلقهم إلا لغاية حميدة، وهي عبادته سبحانه وتعالى.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

قـولـه: «بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا»: هو نبينا محمد ﷺ؛ والرسول: هو من أرسله الله سبحانه وتعالى بشرع جديد.

قـولـه: «فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»: لأن طاعته ﷺ من طاعه الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء:٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء:١٣].

قـولـه: «وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»(١).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨٠).

قـولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾»: أي يا معشر الثقلين.

قـولـه: «﴿رَسُولًا﴾»: أي محمد ﷺ.

قـولـه: «﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾»: أي بأعمالكم يوم القيامة.

قـولـه: «﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولًا﴾»: أي موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

قـولـه: «﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾»: أي عصىٰ فرعونُ موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

قـولـه: «﴿فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذًا وَبِيلًا﴾»: أي شديدًا مهلكًا.

قـولـه: «الثَّانِيَةُ»: أي المسألة الثانية.

قـولـه: «أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ»: أي في عبادته؛ والشرك: هو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فائدة: الشرك قسمان:

أحدهما: شرك أكبر؛ هو كل شرك أطلقه الشارع، وكان متضمنًا لخروج الإنسان من دينه.

الثاني: شرك الأصغر؛ هو كل عمل قولي، أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا يخرج من الملة.

قـولـه: «مَعَهُ أَحَدٌ»: سواء كان مَلَكًا، أو رسولًا أو غيرهما.

قـولـه: «فِي عِبَادَتِهِ»: العبادة: لغة: هي التذلل، والخضوع؛ يقال: طريق معبد أي مذلل.

وشرعًا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال،

والأعمال الظاهرة، والباطنة.

الأقوال الظاهرة: هي أقوال اللسان: كالشهادتين، والتسبيح، والتهليل، ورد السلام، ونحوه.

والأقوال الباطنة: هي أقوال القلب: كاليقين، والتصديق، ونحوه.

والأعمال الظاهرة: هي أعمال الجوارح: كالصلاة، والصيام، والزكاة، والنذر، والطواف، ونحوه.

والأعمال الباطنة: هي أعمال القلب: كالخوف، والرجاء، والمحبة، والخشية، والإنابة، ونحوه.

قوله: «لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»: لأن العبادة لا تصلح إلا لله ﷻ؛ لأنه هو المتفرد بالخلق، والتدبير، والسيادة، والمُلك.

قوله: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾»: أي مواضع السجود؛ وقيل: أعضاء السجود السبعة؛ وعلىٰ كلا القولين: لا يجوز صرف العبادة لغير الله ﷻ.

قوله: «﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾»: «**أحدًا**» نكرة في سياق النهي تشمل جميع ما يُدعَىٰ من دون الله ﷿ سواء كان وليًا، أو ملكًا أو نبيًا.

قوله: «الثَّالِثَةُ»: أي المسألة الثالثة.

قوله: «أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ، وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ»: أي يجب علىٰ المسلم أن يوالي أولياء الله ﷻ، ويعادي أعداء الله، ولو كان هذا العدو أخًا، أو ابنًا، أو أبًا.

قـولـه: «وَالدَّلِيلُ»: أي الدليل علىٰ وجوب موالاة أولياء الله ﷻ، ومعاداة أعداء الله ﷻ.

قـولـه: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ﴾»: أي يا محمد ﷺ.

قـولـه: «﴿قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ﴾»: أي يوالون، ويحبون.

قـولـه: «﴿مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾»: أي من خالف الله ﷻ، ورسوله ﷺ بالقول، أو بالفعل.

قـولـه: «﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾»: أي ولو كانوا أقرب الأقربين.

قـولـه: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾»: أي الذين لم يوادوهم.

قـولـه: «﴿كَتَبَ﴾»: أي أثبت.

قـولـه: «﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾»: هذا هو الجزاء الأول لهم؛ وهو أن الله يجعل الإيمان في قلوبهم.

قـولـه: «﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾»: أي بقوة منه، وهذا هو الجزاء الثاني لهم.

قـولـه: «﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾»: هذا هو الجزاء الثالث لهم.

قـولـه: «﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾»: هذا هو الجزاء الرابع لهم، وهو أن الله ﷻ يرضىٰ عنهم.

قــولـه: «﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾»: هذا هو الجزاء الخامس لهم.

قــولـه: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾»: أي الموالون لأولياء الله ﷻ، هم أنصار الله في أرضه، وعباده المقربون.

قــولـه: «﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾»: أي الفائزون في الدنيا والأخرة الناجون يوم القيامة.

[الرسالة الثالثة]

[الحنيفية ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ؛ وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، وَمَعْنَى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

------------ الشَّرْح ------------

قوله: «اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ»: أي هداك، ووفقك؛ والرشد: هو الاستقامة علىٰ طريق الحق، وهو ضد الغي.

قوله: «لِطَاعَتِهِ»: الطاعة: هي موافقة المراد فعلًا للمأمور، وتركًا للمحذور.

قــولـه: «أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ»: الحنيف لغةً: مشتق من الحنَف، وهو الميل؛ وشرعا: هو المائل عن الشرك إلىٰ التوحيد.

قــولـه: «مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ»: أي طريقة إبراهيم عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ، وشرعته؛ والملة: هي اسم لجملة الشريعة.

قــولـه: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ»: الإخلاص: هو التنقية، والمراد به أن يقصد العبد بعبادته وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والوصول إلىٰ دار كرامته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والإخلاص: هو أحد شرطي قبول العبادة، والشرط الثاني: هو متابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قــولـه: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ»: أي أمرهم بالإخلاص له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في العبادة.

قــولـه: «وَخَلَقَهُمْ لَهَا»: أي للعبادة.

قــولـه: «كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾»: أي ليوحدون.

قــولـه: «وَمَعْنَىٰ ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ يُوَحِّدُونِ»: أي يفردوني بالعبادة.

فائدة: العبادة نوعان:

أحدهما: عبادة كونيه؛ وهي الخضوع لأمر الله تعالىٰ الكوني وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم:٩٣]، فهي شاملة للمؤمن البر والفاجر.

الثاني: عبادة شرعية؛ وهي الخضوع لأمر الله الشرعي، وهي خاصة لعباده المؤمنين؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

قــولــه: «وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ»: أي توحيد الإلهية، فلا يصح توحيد من أقر بالربوبية، والأسماء، والصفات وأنكر الإلهية.

فائدة: التوحيد ثلاثة أقسام:

أحدها: توحيد إلهية؛ وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة.

الثاني: توحيد ربوبية؛ وهو إفراد الله ﷻ بأفعاله.

الثالث: توحيد أسماء، وصفات؛ وهو إفراد الله تعالىٰ بما سمىٰ، ووصف به نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

قــولــه: «وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ»: فلا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله ﷻ.

قــولــه: «وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ»: أي في عبادته ﷻ.

قــولــه: «وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ»: هذا تفسير للشرك؛ وفسره بالشرك في الدعاء؛ لعظم خطره، وانتشاره.

قــولــه: «وَالدَّلِيلُ»: أي علىٰ وجوب عبادة الله ﷻ وحده، وحرمة الشرك.

قــولــه: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾»: هذه الآية فيها معنىٰ «**لا إله إلا الله**»؛ فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله ﷻ كفر.

[الرسالة الرابعة]

[الأصـــول الثلاثـــة]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

الشَّـرْح

قــولـه: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ»: أي إذا سألك سائل.

قــولـه: «مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟»: أي الأصول التي يجب علىٰ كل مسلم معرفتها، والعمل بمقتضاها.

والأصول: جمع أصل، وهو ما يُبْنَىٰ عليه غيره.

قــولـه: «فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ»: هذا الأصل الأول، وهو أعظم أصل، وهو التعرف علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والرب: هو المالك، السيد، وهو مأخوذ من التربية، وهي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربِّي.

قــولـه: «وَدِينَهُ»: هذا الأصل الثاني؛ وهو التعرف علىٰ دين

الإسلام الذي تعبدنا الله سبحانه وتعالى به، وهو معرفة الواجبات والمنهيات.

قوله: «وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ»: هذا الأصل الثالث؛ وهو التعرف علىٰ النبي ﷺ؛ لأنه لا طريق لنا لعبادة الله سبحانه وتعالى ، إلا باتباعه ﷺ.

[الأصل الأول]

[معرفة الرب سبحانه وتعالى]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]؛ وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ، وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فُصِّلَت:٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

الشَّرْح

قــولـه: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟»: شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفصيل ما أجمله؛ فبدأ بأعظم أصل، وهو: معرفة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ومعناه: من الذي خلقك، ورزقك، ومن الذي تعبده ؟

قــولـه: «فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ»: أي قل ربي: هو خالقي، ومالكي، ومعبودي.

قــولـه: «الَّذِي رَبَّانِي»: أي الذي خلقني، وأوجدني من العدم.

قوله: «وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ»: أي أوجدهم من العدم، وأكرمهم بالنعم.

والوجود قسمان:

أحدهما: رب: هو المالك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الثاني: مربوب: هو العالَمُ، وهو كل من سوىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ»: أي هو وحده الذي أعبده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا أحد سواه.

وبهذا يتبين الفرق بين الموَحِّد، والمشرك؛ فالموحِّد: هو من يقول معبودي هو الله.

وأما المشرك: فيقول ربي هو الله؛ فالمشرك يصرف العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «وَالدَّلِيلُ»: أي الدليل علىٰ أن الله هو الخالق لهذا الكون، المدبر له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾»:

الحمد: هو الثناء علىٰ المحمود مع حبه، وتعظيمه.

والرب: هو المالك السيد، ولا يطلق إلا علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والعالمين: أي كل ما سوىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من جميع الخلائق.

ويجوز إطلاق «**الرب**» علىٰ غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا كان مضافا كربِّ الدار، ورب الإبل، ورب الأرض.

قــولـه: «وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ»: أي كل شيء غير الله ﷻ يسمىٰ عالم.

قــولـه: «وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ»: أي أنا أيها الإنسان واحد من جملة تلك المخلوقات.

قــولـه: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ»: أي إذا سألك سائل.

قــولـه: «بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟»:أي كيف عرَفت ربك؟

قــولـه: «فَقُلْ: بِآيَاتِهِ»: الآيات جمع آية، وهي العلامة.

والدلالات نوعان:

أحدهما: آيات كونية؛ كالشمس والقمر والنجوم؛ وغيرها.

الثاني: آيات شرعية؛ وهي الآيات القرآنية.

قــولـه: «وَمَخْلُوقَاتِهِ»: المخلوقات: جمع مخلوق، وهو ما أُوجد بعد العدم.

قــولـه: «وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ»: أي الليل، والنهار من أعظم الدلالات المشاهَدة بالأبصار علىٰ ربوبية الله ﷻ.

قــولـه: «وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ»: أي الشمس، والقمر من أعظم الآيات المشاهدة بالأبصار الدالة علىٰ ربوبية الله ﷻ.

قــولـه: «وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا»: أي من أعظم مخلوقات الله الدالة علىٰ وحدانيته ﷻ السماوات السبع وما فيهن، والأرضون السبع وما فيهن؛

وما بين السماوات والأرض.

قوله: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾»: أي من حجج الله ﷻ، وبراهينه الدالة علىٰ وحدانيته ﷻ الشمس، والقمر، والليل، والنهار.

قوله: «﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾»: أي من مقتضىٰ العبودية الحقَّة ألا تسجد لغير الله، وإن عظُمَ هذا المخلوق.

قوله: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾»: أي من أعظم الدلائل التي تَعْرِفُ بِهَا الله ﷻ خلقُ السماوات، والأرض علىٰ غير مثال سابق.

قوله: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾»: أي علا وارتفع.

قوله: «﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾»: العرش لغة: سرير الملك.

قوله: «﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾»: أي يأتي بالليل فيغطي به النهار، ويُلْبِسَه إياه حتىٰ يذهب بنوره، ويُغْشِي النهارَ بالليل.

قوله: «﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾»: أي طلبًا سريعًا لا يفصل بينهما شيء، ولا يُدْرِكُ أحدُهُمَا الآخَرَ.

قوله: «﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾»: أي مذللات جارية بأمر الله ﷻ لا تتقدم، ولا تتأخر.

قوله: «﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾»: أي هو المتفرد بالخلق ﷻ؛ وفي هذه الآية دليل علىٰ أن القرآن غير مخلوق؛ لأن الله ﷻ غاير بين الخلق

والأمر؛ وهذا ما استدل به الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن القرآن غير مخلوق.

قــولـه: «﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٤﴾»: أي تعاظم، وبلغ من البركة نهايتها.

قــولـه: «وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ»: أي من معاني الرب: المعبود؛ والمعبود: هو المألوه المستحق أن يُعْبَد وحدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دون من سواه.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾»: هذا هو أول نداء، وأول أمر في القرآن الكريم، وهو خطاب من الله لجميع الخلق.

قــولـه: «﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾»: أي أوجدكم والذين من قبلكم من العدم.

قــولـه: «﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾»: أي النار.

قــولـه: «﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾»: أي بساطًا تتمكنوا من المسير فيها.

قــولـه: «﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾»: أي قُبَّة مضروبة عليكم، وسقفًا محفوظًا.

قــولـه: «﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾»: أي أنزل من السماءِ المطرَ، فأخرج بالماء من جميع أنواع الثمرات رزقًا لكم تتمتعون به وتستعينون به علىٰ عبادته وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قــولـه: «﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾»: أي أمثالًا، أي فلا تصرفوا أي نوع من أنواع العبادة لغير الله؛ فتوحيد الربوبية هو الدليل الأول،

والبرهان الأعظم علىٰ توحيد الإلهية.

قــولــه: «﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾»: أي تعلمون أن لا أحد يستحق العبادة إلا الله.

قــولــه: «قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ»: هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدِّمَشْقِي الحافظ صاحب التفسير؛ توفي سنة ٧٧٤ هـ.

قــولــه: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»: أي أن الذي خلق هذه الأشياء، وأوجدها من العدم علىٰ غير مثال سابق هو المستحق للعبادة وحده دون من لم يكن له شركة فيها.

[أنواع العبادة]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ كُلُّهَا للهِ تَعَالَى؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن:١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون:١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: **«الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»**(١).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٣٧١)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة»، وضعفه الألباني.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر:٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر:٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «**وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[١].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٦٦٩)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفَلَق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان:٧].

الشَّرْح

قوله: «وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ»: شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر بعض أنواع العبادة فذكر أجلَّ أنواعها، وبين أن صرفَهَا لغير الله شرك.

قوله: «الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا»: أي التي تعبدنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها.

قوله: «مِثْلُ: الإِسْلَامِ»: الإسلام: هو الاستسلام لله تعالىٰ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨).

قــولـه: «وَالإِيمَانِ»: الإيمان لغة: هو التصديق؛ شرعًا: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

قــولـه: «وَالإِحْسَانِ»: الإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قــولـه: «وَمِنْهُ»: أي من أنواع العبادة.

قــولـه: «الدُّعَاءُ»: هو نوعان:

١- دعاء مسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر كأن تقول: اللهم اغفر لي وارحمني.

٢- دعاء عبادة: يكون بأي نوع من أنواع العبادة، وهو ما لم يكن فيه سؤال ولا طلب؛ فالصلاة دعاء والزكاة دعاء.

قــولـه: «وَالخَوْفُ»: الخوف: هو ما يتعلق بالمكروه؛ وهو نوعان:

أحدها: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السَّبُع وهذا لا يلام عليه العبد، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨].

الثاني: خوف العبادة: هو أن يخاف أحدًا يتعبد بالمخُوْفِ له فهذا لا يكون إلا لله وصرفُه لغير الله شرك.

قــولـه: «وَالرَّجَاءُ»: الرجاء: هو طمع الإنسان في أمر قريب المنال أو بعيد المنال، وهو نوعان:

١- رجاء محمود: وهو الذي يصحبه عمل؛ كمن يرجو الجنة ويعمل لها.

٢- رجاء مذموم: وهو الذي لا يصحبه عمل؛ كمن يرجو الجنة ولا يعمل لها.

قوله: «وَالتَّوَكُّلُ»: التوكل هو: الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ كفاية وحَسْبًا في جلب المنافع ودفع المضار.

قوله: «وَالرَّغْبَةُ»: الرغبة هي: محبة الوصول إلىٰ الشيء المحبوب.

قوله: «وَالرَّهْبَةُ»: الرهبة هي: الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل.

قوله: «وَالْخُشُوعُ»: الخشوع هو: الذل لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

قوله: «وَالْخَشْيَةُ»: الخشية: هي خوف يصحبه تعظيم ومحبة للمخوف منه.

قوله: «وَالإِنَابَةُ»: الإنابة هي: الرجوع إلىٰ الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته.

قوله: «وَالاسْتِعَانَةُ»: الاستعانة هي طلب العون والنصرة؛ وهي نوعان:

أحدهما: الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، وهذه لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]؛ ووجه الاختصاص أن الله تعالىٰ قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾؛ وعلىٰ هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالىٰ شركًا مخرجًا عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق علىٰ أمر يقدر عليه، فإن كانت علىٰ بر فهي جائزة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢]؛ وإن

كانت علىٰ مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب علىٰ ذلك ثواب الإحسان إلىٰ الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

قــولـه: «وَالاسْتِعَاذَة»: الاستعاذة: طلب الإعاذة والحماية من مكروه، وهي نوعان:

أحدهما: الاستعاذة بالله تعالىٰ، وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه، وهي واجبة لله علىٰ العبد.

الثاني: الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين علىٰ العوذ فهذا شرك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [الجن:٦].

قــولـه: «وَالاسْتِغَاثَةُ»: الاستغاثة هي: طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك؛ وهي نوعان:

أحدهما: الاستغاثة بالله سبحانه وتعالى وهذا من أفضل الأعمال وأكملها، ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ [الأنفال:٩].

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين علىٰ الإغاثة فهذا شرك.

قــولـه: «وَالذَّبْحُ»: هو: إزهاق الروح بإراقة الدم علىٰ وجه مخصوص، وهو نوعان:

أحدهما: ذبح لله، وهو أن يذكر اسم الله علىٰ الذبيحة قاصدًا التقرب لله وحده.

الثاني: ذبح لغير الله كأن يقول: باسم البدوي، أو: باسم الحسين، أو غيرهما، أو يقول: باسم الله، وينوي التقرب بالذبيحة غير الله ﷻ.

قوله: «وَالنَّذْرُ»: النذر: هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما أو طاعة لله غير واجبة في أصل الشرع؛ وهو نوعان:

أحدهما: نذر مطلق كأن يقول: علي صيام يوم لله وهذا نذر محمود.

الثاني: نذر مقيد وهو المعلَّق بشيء كأن يقول: إن تزوجت لأصومن يومًا وهذا نذر مذموم.

قوله: «وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ»: أي أنواع العبادة غير محصورة فيما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بل هي أنواع كثيرة.

قوله: «الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا»: أي التي أمرنا الله أن نتعبده بها ﷻ.

قوله: «كُلُّهَا للهِ تَعَالَى»: أي لا يصلح منها شيء لغير الله لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلًا عن غيرهما.

قوله: «وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾»: المساجد هي المواضع التي بنيت لعبادة الله، وقيل: هي أعضاء السجود.

قوله: «﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾»: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي تفيد العموم.

قــولـه: «فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ»: أي من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى فهو مشرك كافر.

والشرك والكفر بينهما عموم وخصوص، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بقصد الأوثان وغيرها من المخلوقات مع الاعتراف بالله فيكون الكفر أعم.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾»: أي من أشرك بالله فلا حجة له ولا بيِّنة، لأنه لا حجة لأحد بدعوىٰ الشرك.

وقوله: ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ﴾ صفة أخرىٰ لـ﴿إِلَٰهًا﴾ لازمًا له جِيء بها للتأكيد.

قــولـه: «﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾»: أي يحاسبه الله علىٰ ذلك فيجازيه بما يستحق علىٰ شركه.

قــولـه: «وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»»: شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفصل أنواع العبادة وأدلتها فبدأ بأعظم أنواع العبادة وهو الدعاء ولفظ الحديث الذي استدل به المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضعيف واللفظ الصحيح هو: «**الدعاء هو العبادة**»(١).

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾»: أي عن دعائي.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٩٧)، والترمذي (٢٩٦٩)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وصححه الألباني.

قــولــه: «﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾»: أي صغيرين حقيرين.

قــولــه: «**وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾»: أي من علامات الإيمان الخوف من الله وعدم الخوف من غيره.

قــولــه: «**وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾»: أي فمن كان يرجو ثواب الله ويأمل لقاءه ورؤيته فليعمل عملًا صالحًا.

قــولــه: «﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾»: أي لا يجعل مع الله شريكًا في عبادته؛ و﴿أَحَدَۢا﴾ نكرة في سياق النهي تعم وتشمل كل مدعو من دون الله.

قــولــه: «**ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾»: أي من علامات الإيمان بالله التوكل علىٰ الله حده.

قــولــه: «**وقــولــه:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾»: أي فهو كافيه.

قــولــه: «**وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾»: أي أن الأنبياء الذين سماهم الله في هذه السورة يبادرون ويسابقون في عمل القربات والطاعات.

قــولــه: «﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾»: أي رغبًا في رحمة الله، ورهبًا من عذاب الله.

قــولــه: «﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾»: أي خاضعين متذللين.

قــولــه: «**وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾»:

أي لا تخشوا الناس، واخشوني وحدي.

قوله: «وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾»: أي أقبلوا إلىٰ ربكم وارجعوا إليه بالطاعة.

قوله: «﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾»: الإسلام المراد هنا هو الإسلام الشرعي، وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية، وهو نوعان:

أحدهما: إسلام كوني: هو الاستسلام لحكم الله الكونية ، وهذا عام لكل من في السموات والأرض.

الثاني: إسلام شرعي: هو الاستسلام لحكم الله الشرعي، وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل ومن اتبعهم بإحسان.

قوله: «وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾»: قدم المعمول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ ليفيد التخصيص، أي لا يستحق العبادة والاستعانة إلا الله وحده سبحانه وتعالى.

قوله: «وَفِي الْحَدِيثِ: «...وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»»: حصر الاستعانة بالله وحده دون غيره من الخلق يدل علىٰ أنها أجل العبادات وعليها مدار الدين.

قوله: «وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾»: أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ بفالق الإصباح من شر جميع المخلوقات.

قوله: «و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»: أي أعتصم وأستجير برب الناس من الوَسْوَاس الخناس.

قوله: «وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾»: أي إذ تستجيرون ربكم فتطلبون منه الغوث فاستجاب لكم.

قوله: «وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾»: أي صلاتي وذبحي.

قوله: «﴿وَمَحۡيَايَ﴾»: أي ما أحيا عليه من العمل الصالح.

قوله: «﴿وَمَمَاتِي﴾»: أي ما أموت عليه من الأعمال.

قوله: «﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾»: أي لله الذي خلق جميع المخلوقات.

قوله: «﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾»: أي في عبادته.

قوله: «﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ﴾»: أي أمرني ربي بتوحيد العبادة له وحده جل جلاله.

قوله: «﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾»: أي لا يسبقني أحد إلىٰ طاعة الله أبدًا.

قوله: «وَمِنَ السُّنَّةِ»: أي الدليل من السنة علىٰ أن الذبح عبادة.

قوله: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»: اللعن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله سبحانه وتعالى؛ والملعون هو من حقت عليه اللعنة.

قوله: «وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾»: أي يتعبدون لله بما أوجبوه علىٰ أنفسهم بطريق النذر.

ووجه الدلالة من الآية: أن الله تعالىٰ مدح الموفين بالنذر، والله تعالىٰ لا يمدح إلا علىٰ فعل واجبًا أو مستحبًا، أو ترك محرمًا، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقربًا إليه فقد أشرك، وقد أجمع

علماء المذاهب الأربعة علىٰ كفر من يدعو غير الله وبطلان النذور والذبائح للأضرحة.

قوله: «﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾»: أي منتشرًا كاسيًا عامًا بين الناس إلا من رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[الأَصْلُ الثَّانِي]

[معـرفة دين الإسـلام]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

الأصلُ الثاني: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ؛ وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

الشَّرْح

قــولـه: «الأصل الثاني»: أي من الأصول الثلاثة.

قــولـه: «مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ»: أي من الكتاب والسنة.

والدين: هو الطاعة والتوحيد وجميع ما يتعبد به.

وقوله «**بالأدلة**» تنبيه علىٰ أنه لا يسوغ التقليد في ذلك.

ولا يُعَدُّ المرء مسلمًا حتىٰ يحقق أربع صفات:

١- الاستسلام لله بالتوحيد.

٢- الانقياد لله بالطاعة.

٣- البراءة مما يضاد التوحيد.

٤- البراءة من أهل الشرك.

قوله: «وَهُوَ»: أي الإسلام.

قوله: «الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ»: أي الذل والخضوع لله بإفراده بالربوبية والخلق والتدبير وإفراده بجميع أنواع العبادات.

قوله: «وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ»: أي بفعل المأمورات من الطاعات، وترك المنكرات طاعة لله تعالىٰ.

قوله: «وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ»: أي لا بد أن يتبرأ المسلم من الشرك، ومن أهله في الاعتقاد والعمل.

قوله: «وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ»: أي إن الدين علىٰ ثلاث مراتب، والمرتبة هي المنزلة.

قوله: «الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ»: هذه هي مراتب الدين الثلاثة.

قوله: «وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ»: الركن لغة: هو الجانب القوي من الشيء.

واصطلاحًا: هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود.

[المرتبة الأولى]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

المرتبة الأولى: الإسلام؛ فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران:١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الإِثْبَاتِ «لا إِلَه» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، «**إِلا اللهُ**» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٨﴾ [الزُّخرُف:٢٦-٢٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤].

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيِّنة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ

ﭐسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

الشَّـرْح

قــولــه: «المرتبة الأولى: الإسلام»: أي المرتبة الأولىٰ من مراتب الدين هي مرتبة الإسلام؛ وهي أوسع المراتب من جهة أصحابها.

قــولــه: «فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ»: أي قواعد الإسلام ودعائمه خمسة.

قــولــه: «شَهَادَةُ»: الشهادة هي الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان.

قــولــه: «أَن لا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ»: ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أركان الإسلام مجملة؛ ثم ذكرها مفصلة.

قــولــه: «فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾»: أي لا معبود بحق إلا الله.

قــولــه: «قوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾»: أي والملائكة وأولوا العلم كذلك شهدوا.

قــولــه: «قوله: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾»: أي بالعدل.

قــولــه: «قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾»: العزيز: هو الذي لا يرام جنابه عظمة وكبرياء.

والحكيم: أي في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه.

قــولــه: «وَمَعْنَاهَا»: أي معنىٰ كلمة التوحيد.

فائدة: قد اختلف الناس في معنى كلمة التوحيد على أربعة أقوال:

١- لا معبود إلا الله.

٢- لا خالق إلا الله.

٣- لا حاكم إلا الله.

٤- لا معبود بحق إلا الله.

قــولـه: «لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللّٰهُ»: أي لا مألوه بحق إلا الله وحده دون كل من سواه، وهذا هو المعنىٰ الصحيح لكلمة التوحيد.

قــولـه: «وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ «لا اله» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ»: هذا هو الركن الأول من أركان كلمة التوحيد وهو النفي.

قــولـه: ««إِلا اللّٰهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للّٰهِ وَحْدَهُ»: هذا هو الركن الثاني من أركان كلمة التوحيد، وهو الإثبات.

قــولـه: «لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ»: أي كما أن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير، فهو المستحق للعبادة لا شريك له.

قــولـه: «كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ»: كما أن لكلمة التوحيد معنىٰ وأركان، لها شروط أيضًا، وهي مجموعة في قول الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلمُ واليقينُ والقَبُولُ ... والانقياد فَادْرِ ما أقولُ

والصدقُ والإخْلَاصُ والمحبةْ ... وفَّقَك الله لما أحبَّهْ

إذن شروط كلمة التوحيد هي:

١- العلم المنافي للجهل.

٢- اليقين المنافي للشك.

٣- القبول المنافي للرد.

٤- الانقياد المنافي للترك.

٥- الصدق المنافي للكذب.

٦- الإخلاص المنافي للرياء.

٧-المحبة المنافية للكراهية.

وأضيف شرطٌ ثامن ألا وهو الكفر بما سوىٰ الله تعالىٰ.

قوله: «وَتَفْسِيرُهَا»: أي تفسير كلمة التوحيد.

قوله: «الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾»: أي بريء من الأوثان، وهذه الآية اشتملت علىٰ معنىٰ الشطر الأول من كلمة التوحيد؛ وهو: نفي الإلهية عن كل ما سوىٰ الله.

قوله: «﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾»: أي الذي ابتدأ خلقي وبرأني، وهذه الآية اشتملت علىٰ معنىٰ الشطر الثاني من كلمة التوحيد وهو: إثبات الإلهية لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾»: أي يُرشدني لدينه القويم وصراطه المستقيم.

قوله: «﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾»: أي في ذريته، والكلمة الباقية هي كلمة التوحيد بإجماع المفسرين.

قوله: «﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾»: أي يرجعون إلىٰ دين إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قـولـه: «وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾»: أي اليهود والنصارىٰ.

قـولـه: «﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾»: هي كلمة التوحيد.

قـولـه: «﴿سَوَاءٍ﴾»: أي كلام عدل، أو كلام لا تختلف فيه الشرائع.

قـولـه: «﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾»: أي لا نوحِّد إلا الله ﷻ.

قـولـه: «﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾»: شَيْئًا نكرة في سياق النهي تعم، وتشمل كل ما عُبد من دون الله ﷻ كالأصنام، والطواغيت وغيرها.

قـولـه: «﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾»: أي لا يطيع بعضنا بعضًا في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله كما فعلت اليهود والنصارىٰ.

قـولـه: «﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾»: أي أعرضوا وامتنعوا عن الإجابة.

قـولـه: «﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾»: أي أنتم يا أمة محمد ﷺ.

قـولـه: «﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»: أي اشهدوا بأننا مسلمون مخلصون لله بالتوحيد دونكم.

قـولـه: «وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾»: أي تعرفونه، وتعرفون نسبه.

قـولـه: «﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾»: أي يشق ويصعب عليه ﷺ مشقتكم.

قـولـه: «﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾»: أي علىٰ هدايتكم وإنقاذكم من النار.

قــولـه: «﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾»: أي رأفة ورحمة خاصة بالمؤمنين.

قــولـه: «وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ»: لأن طاعته ﷺ من طاعة الله ﷻ.

قــولـه: «وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ»: لأنه هو الصادق المصدوق ﷺ أمين الله علىٰ وحيه ﷻ.

قــولـه: «واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر:٧].

قــولـه: «وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ»: أي لا بالأهواء والبدع.

قــولـه: «وَدَلِيلُ الصَّلاةِ»: الصلاة لغة هي: الدعاء.

وشرعًا: هي التعبد لله بأفعال وأقوال مخصوصة مفتتحة بالتكبير، ومختتمة بالتسليم.

قــولـه: «وَالزَّكَاةِ»: الزكاة لغة: النماء والزيادة.

وشرعًا: هي مال مخصوص يؤخذ من طائفة مخصوصة ويصرف في طائفة مخصوصة.

قــولـه: «وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ»: التوحيد: هو الأساس الذي لا يستقيم إسلام العبد إلا به.

قــولـه: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾»: أي مائلين عن الأديان كلها إلىٰ دين الإسلام.

قــولـه: «﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾»: أي يقيموا الصلاة المكتوبة بأركانها

وواجباتها في أوقاتها.

قــولـه: «﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾»: أي عند محلها.

قــولـه: «﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾»: أي الذي أمروا به في هذه الآية الكريمة؛ وهو الملة والشريعة المستقيمة.

قــولـه: «ودَلِيلُ الصِّيَامِ»: الصيام لغة: المنع والإمساك.

وشرعًا: هو التعبد لله ﷻ بالإمساك عن شهوتي الفرج والبطن من طلوع الفجر الصادق حتىٰ غروب الشمس.

قــولـه: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾»: أي فُرض عليكم الصيام كما فُرض علىٰ الذين من قبلكم.

قــولـه: «﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾»: أي تتقون المعاصي والشهوات.

قــولـه: «ودَلِيلُ الْحَجِّ»: الحج لغة: القصد.

وشرعًا هو: قصد مكة بعمل مخصوص في وقت مخصوص.

قــولـه: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾»: أي فرض الله الحج علىٰ من استطاع قصده.

قــولـه: «﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾»: أي يجب الحج علىٰ من استطاعه ببدنه، وماله.

قــولـه: «﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»:أي من جَحد ما ألزمه الله من فرض حَجّ بيته، فأنكره وكفر به، فإن الله غنيّ عنه وعن حجه وعمله، وعن سائر خَلقه من الجن والإنس.

[المرتبة الثانية]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا: قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩].

الشَّرْح

قـولـه: «الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ»: أي من مراتب الدين.

قـولـه: «الإِيمَانُ»: الإيمان لغة: هو التصديق، والإقرار.

وشرعًا: هو التصديق الجازم بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

والإيمان مرتبة أعم من مرتبة الإسلام من جهة نفسها وأخص من جهة أصحابها.

قوله: «وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً»: البِضْعُ: العدد من الثلاثة إلىٰ التسعة.

والشعبة: هي الجزء من الشيء.

قوله: «فَأَعْلاهَا»: أي أعلىٰ شعب الإيمان.

قوله: «قَوْلُ لا اله إلا اللَّهُ»: هي كلمة الإخلاص، وكلمة التوحيد، وهي العروة الوثقىٰ.

قوله: «وَأَدْنَاهَا»: أي أقل هذه الشُّعَب.

قوله: «إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»: أي إزالة الأذىٰ عن الطريق.

قوله: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ»: لأن الحياء يمنع صاحبه من فعل المعاصي.

قوله: «وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ»: أي أصول الإيمان وقواعده التي يتكون منها ستة.

قوله: «كما في الحديث «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ»: الإيمان بالله أعظم أركان الإيمان ويتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بوجود الله.

٢- الإيمان بربوبية الله.

٣- الإيمان بإلهية الله.

٤- الإيمان بأسماء الله وصفاته العلا.

قوله: «وَمَلائِكَتِهِ»: أي أن تؤمن بجميع ملائكته ﷻ إجمالًا في الإجمال وتفصيلًا في التفصيل.

قوله: «وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ»: أي بجميع كتبه ورسله إجمالًا وتفصيلًا.

قوله: «وَالْيَوْمِ الآخِرِ»: أي بما يكون بعد الموت في البرزخ والحساب والميزان والصراط والجنة والنار.

قوله: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»: أي بما قدره الله من خير وشر.

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن الإيمان بأربعة أشياء:

١- العلم: معناه: أن الله علم كل شيء.

٢- الكتابة: معناها: أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

٣- المشيئة: معناها: أن الله إذا أرد شيئًا قال له: كن فيكون.

٤- الخلق: معناه: أن الله خلق كل شيء.

قوله: «وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾»: أي ليس كل عمل يدخل صاحبه الجنة.

قوله: «﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾»: أي البر يكون بامتثال أوامر الله واتباع ما شرع.

قوله: «﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾»: أي ربا وإلها وبأسمائه وصفاته.

قوله: «﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾»: أي بالغيبيات التي تقع في يوم القيامة،

واليوم الآخر يبدأ في حق كل إنسان من طلوع الروح إلىٰ دخول الجنة أو النار.

قــولـه: «﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾»: أي بجميع الملائكة الذين وكلهم الله بوظائف عظيمة يقومون بها.

قــولـه: «﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾»: أي جميع الكتب المنزلة علىٰ رسله.

قــولـه: «﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾»: أي جميع الأنبياء والمرسلين.

قــولـه: «ودليل القدر»: الإيمان بالقدر من أركان الإيمان التي لا يستقيم إلا بها.

قــولـه: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾»: أي خلقنا كل شيء بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ.

فائدة: الفرق بين أركان الإيمان وشعبة.

الأركان لا بد منها، فإذا فُقد ركن انتقض الإيمان.

أما الشُّعَب فهي مكمِّلات العمل.

[المرتبة الثالثة]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ؛ وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، كما في الحديث: **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**[(١)].

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا**»؛ قَالَ: صَدَقْتَ؛ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ؛ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؛ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»؛ قَالَ: صَدَقْتَ؛ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؛ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»؛ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؛ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»؛ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؛ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟**»؛ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ**»[1].

الشَّرْح

قوله: «الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ»: أي من مراتب الدين.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

قــولـه: «الإِحْسَانُ»: الإحسان: هو أعلىٰ المراتب وأعمها من جهة نفسها وأخصها من جهة أصحابها فكل محسن مؤمن مسلم وليس العكس.

قــولـه: «وله رُكْنٌ وَاحِدٌ»: أي شيء واحد.

قــولـه: «كما في الحديث: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»: هذه هي الدرجة الأولىٰ من درجات الإحسان؛ وهي درجة المشاهدة.

قــولـه: «فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»: هذه هي الدرجة الثانية من درجات الإحسان؛ وهي درجة المراقبة.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾»: أي أن الله ﷻ مع عباده الذين تركوا المنهيات والذين هم محسنون في العمل.

قــولـه: «وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧﴾»: أي اعتمد في جميع أمورك علىٰ الله ﷻ.

قــولـه: «﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾»: أي الذي يرىٰ جميع حركاتك وسكناتك.

قــولـه: «﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾»: أي يراك حين سجودك وحين قيامك.

قــولـه: «﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾»: أي السميع لأقوالكم العليم بأفعالكم.

قــولـه: «وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾»: أي

تدخلون فيه، وتأخذون في ذلك فنحن مشاهدون لكم سامعون لأصواتكم.

قوله: «وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ»: أي الدليل علىٰ هذه المراتب الثلاثة من السنة.

قوله: «حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ»: تعجب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من هذا الرجل؛ لأنه كان شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، والمسافر من شأنه ألا يكون كذلك ومع ذلك لا يُرىٰ عليه أثر السفر ولم يعرفه أحد من الحاضرين.

قوله: «فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ»: هذا إشارة لما ينبغي للمسؤول من التواضع، والصفح عما يبدو من جفاء السائل.

قوله: «وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ»: أي ما هو الإسلام؟

قوله: «فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»: فسَّر النبي ﷺ الإسلام بالأعمال الظاهرة.

قوله: «قَالَ: صَدَقْتَ؛ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ»: تعجب

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من حال هذا السائل؛ لأنه كان يصدق النبي ﷺ وكأنه يعرف الإجابة.

قوله: «قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ»: أي ما هو الإيمان؟

قوله: «قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»: فسَّر النبي ﷺ الإيمان بالأعمال الباطنة.

قوله: «قَالَ: صَدَقْتَ»: دل الحديث علىٰ أن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا؛ وإذا افترقا اجتمعا؛ فإذا اجتمعا اختُصَّ الإيمان بالأعمال الباطنة، والإسلام بالأعمال الظاهرة.

قوله: «قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ»: أي ما هو الإحسان؟

قوله: «قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»: إنما عجبوا من ذلك؛ لأن ما جاء به النبي ﷺ لا يُعرف إلا من جهته وليس هذا السائل ممن عُرف بلقاء النبي ﷺ ولا بالسماع منه، ثم هو يسأل سؤال عارف بما يسأل عنه؛ لأنه يخبره بأنه صادق فتعجبوا من ذلك تعجُّب المستبعد لذلك.

قوله: «قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ»: أي ما هو وقت قيام القيامة؟

قوله: «قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»: أي ما أنا بأعلم بوقت قيام القيامة منك.

قوله: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا»: أي علاماتها، وأمارات جمع أمارة وهي الدلالة والبرهان.

قوله: «قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»: أي سيدتها، والمعنىٰ أن السراري ستكثر في العرب حتىٰ تلد الأمة سيدتها، وقيل غير ذلك.

قوله: «وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ»: أي الذين لا نعال لهم.

قوله: «الْعُرَاةَ»: أي الذين لا ثياب عليهم.

قوله: «الْعَالَةَ»: أي الفقراء.

قوله: «رِعَاءَ الشَّاءِ»: أي رعاء الغنم.

قوله: «يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»: أي إن أسافل الناس يصيرون رؤساء، وتكثر أموالهم حتىٰ يتباهوا بطول البنيان وزخرفته.

قوله: «قَالَ: فَمَضَى»: أي ذهب.

قوله: «فَلَبِثْنَا مَلِيًّا»: أي مكثنا زمنًا طويلًا بعد انصرافه.

قوله: «فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟»؛ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»: يؤخذ من هذا: أن من سُئل عما لا يعلم أن يَكِلَ العلم إلىٰ عالمه ولا يتكلف فيما ليس له به علم.

قوله: «قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»:

يؤخذ من هذا الحديث عدة فوائد منها:

١- أقسام الدين ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

٢- من طرق التعليم الناجحة: التعليم بطريقة السؤال والجواب.

٣- لا يحل لمن سأل عن علم وهو لا يدري أن يجيب.

٤- أداب العالم والمتعلم.

٥- بيان علامتين من علامات الساعة.

[الأصلُ الثَّالِثُ]

[معرفة النبي ﷺ]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى:**

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة.

نُبِّئَ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ؛ وهاجر إلى المدينة، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدَّثر:١-٧].

وَمَعْنَى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾: أَيْ عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ؛ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ؛ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [العنكبوت:٥٦].

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ

بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: **«لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**(١).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثل الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ؛ وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٩٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٦٨٥)، وأحمد (١٦٩٠٦)، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصححه الألباني.

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر:٣١].

الشَّرْح

قوله: «الأَصْلُ الثَّالِثُ»: أي من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها.

قوله: «مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ»: لأنه لا نجاة ولا فلاح إلا باتباع سنته ﷺ.

قوله: «وَهُوَ مُحَمَّدٌ»: هذا هو أشهر أسمائه، وقد ذكر في القرآن في أربع مرات ، منها قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].

ومن أسمائه ﷺ أيضًا أحمد.

فائدة: الفرق بين محمد وأحمد.

- محمد اسم مفعول، وأحمد اسم تفضيل.
- محمد الفعل وقع من الناس أي أن الناس يحمدونه، أما أحمد فالفعل وقع منه أي أنه أكثر الناس حمدا لله سبحانه وتعالى.

قوله: «ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»: عبد المطلب اسمه شَيْبَة؛ يقال له: شَيْبَة الحمد لجوده، وسمي بذلك لأن عمه المطلب قدم به مكة وهو رديفه وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبدًا له فقالوا: هذا عبد المطلب فعلِق به هذا الاسم.

قــولــه: «ابْنِ هَاشِمٍ»: هاشم: اسمه عمرو وسمي بهذا لهشمه الثريد مع اللحم لقومه.

والثريد: هو بَلُّ الخبز بمرق، ويُسمىٰ بالفتَّة عند العامة.

قــولــه: «وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ»: لحديث وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَجَلَّ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»(١).

والخليل: من الخُلة وهي أعلىٰ مراتب المحبة.

قــولــه: «وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً»: ولد ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل.

قــولــه: «مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ»: النبوة من النبأ وهو الخبر، وقيل: من النباوة وهو الارتفاع لارتفاع رتبته.

قــولــه: «وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة»: النبي هو من أوحي إليه بتجديد شرع من قبله.

أما الرسول فهو من أُوحِيَ إليه بشرع جديد.

قــولــه: «نُبِّئَ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾»: أي أُنزل عليه وهو في غار حراء قوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق:١]، فصار بذلك نبيًا.

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٥)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٦٩٨٧)، وصححه الألباني.

قـولـه: «وَأُرْسِلَ بـ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾»: بعد فترة الوحي أتاه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدَّثر:١]، فصار بذلك رسولًا.

قـولـه: «وَبَلَدُهُ مَكَّةُ»: أي ولد ﷺ في مكة.

قـولـه: «وهاجر إلى المدينة»: بعد أن هموا بقتله ﷺ هاجر إلىٰ المدينة.

قـولـه: «بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ»: فبدأ ﷺ بالنذارة عن الشرك؛ لأن العبادة لا تصح مع وجوده؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزُّمَر:٦٥].

قـولـه: «وَالدَّلِيلُ»: أي الدليل علىٰ أن الله جَلَّ جَلَالُهُ بعث نبيه ﷺ بالنذارة عن الشرك، وبالدعوة إلىٰ التوحيد.

قـولـه: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾»: المدثر: هو المتدثر في ثيابه المتغشي به من الرعب.

قـولـه: «﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾»: أي قم من دارك وحذر المشركين من عذاب ربك إن لم يؤمنوا.

قـولـه: «﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾»: أي اخصص ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتعظيم والتكبير.

قـولـه: «﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾»: هذا كناية عن تطهير النفس من المذام، أي طهر نفسك من الذنوب.

قـولـه: «﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾»: أي اهجر الأوثان، والمآثم، ولا تقربها.

قــولـه: «﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾»: أي لا تعطِ الناس طالبًا الكثير عوضًا عنه.

وقيل: لا تمنن على الله بعمل مستكثرًا.

قــولـه: «﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾»: أي على طاعته وأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بعدما ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدليل على إرسال النبي بالنذارة عن الشرك، وبالدعوة إلى التوحيد؛ ذكر معنى الآيات.

قــولـه: «وَمَعْنَى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ؛ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ؛ ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا»: أي لا يتم توحيد العبد حتى يتبرأ من الكفر وأهله، ويهجرهم.

فائدة: الفرق بين الأصنام والأوثان:

الأوثان: هي كل ما عُبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

أما الأصنام: هي الحجارة التي تُعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

قــولـه: «أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ»: أي أخذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان التوحيد والدعوة إليه، وبيان الشرك والإنذار عنه، والتحذير منه عشر سنين قبل فرض الصلاة التي هي عماد الدين ، وقبل بقية الشرائع.

وبهذا يتبين حقيقة ما بعث به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعت إليه الرسل كلهم وهو الإنذار عن الشرك، والنهي عنه والدعوة إلى التوحيد.

قوله: «وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ»: الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح معًا وكان يقظة لا منامًا.

والراجح أن الإسراء والمعراج كان في السنة الثانية عشرة من البَعثة.

قوله: «وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ»: كان أول فرضها خمسين صلاة ثم صارت خمسًا.

قوله: «وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ»: أي بعد أن عُرِج به ﷺ وفرضت عليه قبل الهجرة.

والراجح أنه صلىٰ في مكة سنة واحدة فقط.

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلًا، وقيل: بمعنىٰ سَرَىٰ.

وشرعًا: هو سير جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبي ﷺ، من مكة إلىٰ بيت المقدس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

والمعراج لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

وشرعًا: هو عروج الرسول ﷺ، من الأرض إلىٰ السماء؛ قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم:١٨].

قوله: «وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ»: لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، لذلك صارت الهجرة واجبة، فلا يتم الفرض والواجب إلا مع مفارقة المشركين عن الأوطان.

قــولـه: «وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ»: حفاظا علىٰ الدِّين، وسُمي المهاجرون مهاجرين؛ لأنهم هجروا ديارهم وأوطانهم التي نشأوا بها لله ﷻ.

قــولـه: «وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ»: هذا بالإجماع.

قــولـه: «وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»: باتفاق من يُعْتَدُّ به من أهل الإسلام.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لا يَسلَم أحد من الشرك إلا بالمباينة لأهله**»؛ أي بالمفارقة لأهل الشرك.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾»: بالإقامة بين أظهر الكفار.

قــولـه: «﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾»: أي لما مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة؟؛ وهذا استفهام للإنكار، والتوبيخ.

قــولـه: «﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾»: أي عاجزين عن الهجرة.

قــولـه: «﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾»: أي إلىٰ المدينة فتتخذوها دارًا.

قــولـه: «﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾»: أي بئس المصير إلىٰ جهنم.

وهذا فيه أن تارك الهجرة بعد ما وجبت عليه مرتكب كبيرة من الكبائر.

قوله: «﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾»: أي العاجزين من الرجال والنساء،

قوله: «﴿وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾»: الولدان: جمع وليد ووليدة، والوليد هو الغلام قبل أن يحتلم.

قوله: «﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾»: أي من مفارقة المشركين فلا يقدرون علىٰ الهجرة قدرة مالية أو بدنية.

قوله: «﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾»: أي لا يعرفون طريقًا للخروج من مكة إلىٰ المدينة.

قوله: «﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾»: أي يتجاوز عن المستضعفين.

فائدة:

عسىٰ من الله ﷻ واجبة، أما من العبد فتفيد الرجاء.

قوله: «﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾»: أي يتجاوز عن سيئاتهم، غفورًا لمن تاب إليه.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَنَا مِنَ الوِلْدَانِ وَأُمِّي مِنَ النِّسَاءِ**»[1].

قوله: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ ﴾»: أمر الله عباده بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه علىٰ إقامة الدين إلىٰ أرضه الواسعة حتىٰ يتمكنوا من إقامة دينهم.

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٥٧).

قــولـه: «﴿فَإِيَّىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾»: أي وحدوني في أرضي التي خلقتها ومَن عليها لكم.

قــولـه: «قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ»: البغوي: هو أبو محمد الحسين بن سعود صاحب التفسير، وشرح السنة، توفي سنة ٥١٦ هـ.

قــولـه: «نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»: أفاد أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر لكنه عاصي بتركها فهو مؤمن ناقص الإيمان.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ»: أي علىٰ وجوب الهجرة من سنَّة النبي ﷺ.

قــولـه: «قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»: أي لا تنقطع الهجرة من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام حتىٰ تنقطع التوبة، ويكون ذلك قرب قيام الساعة.

قــولـه: «فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ»: أي لما فشا التوحيد وآمن به الناس وأقاموا الصلاة أمر ببقية شرائع الإسلام التي تعبدنا الله ﷻ بها.

قــولـه: «مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ»: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض علىٰ كل أحد بحسبه.

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قوله: «وَتُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ»: أي موجود ومحفوظ لكل من تمسك به.

قوله: «وَهَذَا دِينُهُ»: الذي ترك أمته عليه وتكفل الله بحفظه وتوارثه أهل العلم خلفًا عن سلف.

قوله: «لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ»: أي لم يمت رسول الله ﷺ إلا وقد دل أمته علىٰ كل خير لهم.

قوله: «وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ»: أي خوفًا علىٰ أمته من الوقوع في المهالك.

قوله: «وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ»: التوحيد: هو أساس كل خير.

قوله: «وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ»: من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قوله: «وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ»: الشرك: هو أساس كل شر.

قوله: «وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ»: أي يمنعه من الأقوال والأعمال.

قوله: «بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»: أي عربهم وعجمهم.

قوله: «وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ»: الثقلان هما: الجن والإنس.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ»: أي لم يتوقف ﷺ في تبليغ رسالة الله ﷻ حتىٰ أكمل الله به الدين.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾»: من أتم نعم الله علىٰ هذه الأمة أن الله أكمل لها دينها فلا يحتاجون إلىٰ دين سواه.

قــولـه: «﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾»: من تمت عليه النعمة فقد أفلح كل الفلاح.

قــولـه: «﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾»: فارضوْهُ لأنفسكم.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾»: أي يا محمد ستموت، وهذا هو معتقد أهل السنة، أما بعض المبتدعة فقالوا: إن النبي ﷺ لم يمت.

قــولـه: «﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾»: أي سيموتون كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

قــولـه: قوله: «﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾»: أي ستختصمون يوم القيامة فيما أنتم فيه بين يدي الله تعالىٰ.

[الإيمان بالبعث]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه:٥٥].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح:١٧-١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن:٧].

الشَّرْح

قوله: «وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ»: أي ليجازي كلٌّ بعمله ويُقتص لبعضهم من بعض حتىٰ البهائم.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾»: أي من الأرض مبدؤكم، وفيها تدفنون ثم تخرجون منها يوم القيامة.

قــولـه: «وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾»: أي إنباتًا، وهذا مبدأ خلق آدم.

قــولـه: «﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾»: أي يُعيدكم يوم القيامة كما بدأكم أول مرة.

قــولـه: «وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ»: أي علىٰ الأعمال حسنها وسيئها؛ والإيمان بالحساب والمجازاة علىٰ الأعمال من الإيمان باليوم الآخر أيضًا.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾»: أي بكل عمل عملوه.

قــولـه: «﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾»: أي بالجنة.

قــولـه: «وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ»: أي لتكذيبه الله ﷻ، ورسوله ﷺ، وإجماع المسلمين.

قــولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾»: لما كفرهم الله بإنكارهم للبعث، دل علىٰ أن إنكار البعث كفر.

قــولـه: «﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾»: أي قل يا محمد ﷺ : بلىٰ وربي، هذا جواب تحقيق وقسم بالله العظيم.

قــولـه: «﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾»: أي لتخبَرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها.

قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

قــولــه: «﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾»: أي سهلٌ هين.

[الإيمان بالرسل]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ح يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

الشَّرْح

قوله: «وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾»: أي كل الرسل يدعون إلىٰ عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه مبشرين من أجابهم إلىٰ ما دعوا إليه برضوان الله، ومنذرين من عصاهم من غضب الله وعقابه.

قوله: «﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾»: حتىٰ لا يقولوا يوم القيامة: ما أرسلت إلينا رسولًا، ما أنزلت إلينا كتابًا، فانقطعت حجة الخلق علىٰ الله بإنزال الكتب وإقامة الحجج عليهم.

قوله: «وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»: أي أول رسول أرسله الله إلىٰ أهل الأرض نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله: «وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»: أي آخر رسول أرسله الله إلىٰ أهل الأرض هو النبي ﷺ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

قوله: «وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ»: كان بينه وبين آدم عشرة قرون كلها علىٰ التوحيد.

قوله: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ»: أي كل الرسل يدعون إلىٰ عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

والطاغوت: هو مجاوزة الحد.

قوله: «وَالدَّلِيلُ»: أي علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسل رسولًا لكل أمة

يأمرهم بعبادته وحده ﷻ، وينهاهم عن عبادة كل ما سواه.

قوله: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾»: أي وحدوا الله؛ وهذا معنىٰ الشطر الثاني من كلمة التوحيد وهو: «**إلا الله**».

قوله: «﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾»: هذا معنىٰ الشطر الأول من كلمة التوحيد وهو: «**لا إله**».

قوله: «وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ»: أي أوجب الله علىٰ جميع العباد.

قوله: «الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ»: لأجل ذلك أرسل الله ﷻ الرسل وأنزل الكتب.

فائدة:

تشتمل كلمة التوحيد علىٰ أمرين لا يتحقق إيمان عبد إلا بهما:

- كفر بالطاغوت.
- إيمان بالله.

[معنى الطاغوت]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ؛ وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة:٢٦٥]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله، وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

الشَّرح

قــولـه: «قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ»: هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أبي أيوب الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، توفي سنة ٧٥١ هـ.

قوله: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ»: كالآلهة التي عبدت من دون الله ﷻ.

قوله: «أَوْ مَتْبُوعٍ»: كالعلماء.

قوله: «أَوْ مُطَاعٍ»: كالأمراء.

فكل من تجاوز حده من هؤلاء صار طاغوتًا.

قوله: «وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ»: كما حده ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: «وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ»: أي أكبر الطواغيت بالتتبع والاستقراء خمسة.

قوله: «إِبْلِيسُ»: هو رأسهم الأكبر.

قوله: «لَعَنَهُ اللهُ»: اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

قوله: «وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ»: أُخرج بشرط الرضا من عبد من دون الله ﷻ عن غير رضا كعيسىٰ والملائكة عليهم السلام.

قوله: «وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ»: كمن يقر الغلو والتعظيم بغير حق كفرعون لعنه الله.

قوله: «وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ»: كالمنجمين والرمالين ونحوهم.

قوله: «وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ»: أي متعمدًا عالمًا.

فائدة: أحوال الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ ثلاثة:

١- من حكم بغير شرع الله ﷻ وهو يرىٰ أن شرع غير الله أفضل من شرعه فهو كافر.

٢- من حكم بغير ما أنزل الله ﷻ عن هوىً فهو مرتكب كبيرة من الكبائر.

٣- من حكم بغير ما أنزل الله ﷻ عن اجتهاد فله أجر.

عنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[١].

قـولـه: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾»: أي ظهر الحق، والرشد ضد الغي.

قـولـه: «﴿مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾»: أي الباطل.

قـولـه: «﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾»: أي القوية التي لا تنفك ولا تنفصم، فمن تمسك بالتوحيد فسوف يصل إلىٰ الجنة.

قـولـه: «﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»: أي فقد استمسك من الدين بأقوىٰ سبب، وشبه ذلك بالعروة الوثقىٰ التي لا تنفصم فهي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد.

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية علىٰ ثلاثة أقول:

القول الأول: أنها نزلت في بعض المسلمين لما أرادوا أن يكرهوا أهل الكتاب علىٰ الدخول في الإسلام.

القول الثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب الذين أسلموا وأردوا أن

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

يُكرهوا أبناءهم علىٰ الدخول في الإسلام.

القول الثالث: أنها نزلت في بداية الإسلام ثم نُسخت بالأمر بالقتال.

قوله: «وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللَّهُ»: معنىٰ لا إله إلا الله: الإيمان بالله، والكفر بالطاغوت.

قوله: «وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ»»: أي رأس الدين الإسلام.

قوله: «وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ»: هذا فيه عظم شأن الصلاة.

فائدة: حكم تارك الصلاة.

من تركها جحودًا فهو كافر بالإجماع.

ومن تركها تكاسلًا فلا يكفر علىٰ الراجح.

لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦].

قوله: «وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: أي أعلاه الجهاد في سبيل الله.

فائدة: يُشترط في الجهاد ثلاثة شروط:

أحدها: أن يكون بإذن ولي الأمر.

الثاني: أن يكون بالمسلمين قوة علىٰ قتال العدو.

الثالث: أن يكون لإعلاء كلمة الله.

وهذه شروط جهاد الطلب.

أما جهاد الدفع فيجب علىٰ جميع المُكلفين القادرين علىٰ الجهاد.

فائدة: حكم الجهاد.

الجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين.

فائدة: من ترك الجهاد فهو على خطر عظيم.

لقول النبي ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»[(١)].

قوله: «وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ»: ختم المصنف رسالته بالدعاء للنبي ﷺ بأن يُصلَىٰ عليه في الملأ الأعلىٰ، والصلاة من الله ثناءٌ في الملأ الأعلىٰ.

قوله: «وَعلىٰ آله»: الآل: هم كل من اتبع النبي ﷺ علىٰ دينه.

قوله: «وَصَحْبِهِ»: أي صحابته ﷺ؛ والصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك.

قوله: «وَسَلَّمَ»: أي من الآفات والذنوب والمعاصي.

تم الشرح؛ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني.

الأسئلة والمناقشة

في ضوء دراستك لكتاب «الشرح المأمول على ثلاثة الأصول» أجب عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: عرف كلا مما يأتي :

العلم - الصبر - الحنفية - العبادة وأنواعها - التوحيد وأقسامه - الإخلاص - الشرك وأنواعه - الأصول - الرب - الدعاء وأنواعه - الخوف وأقسامه - الرجاء وأنواعه - التوكل وأنواعه - الرغبة - الرهبة - الخشوع - الخشية - الإنابة - الإسلام وأنواعه - الاستعانة وأنواعها - الاستعاذة وأنواعها - الاستغاثة وأنواعها - الذبح وأنواعه - النذر وأنواعه - الإحسان وأقسامه - القدر ومراتبه - أشراط الساعة وأقسامها - النبي - الهجرة - الإسراء والمعراج - الطواغيت ورؤسهم - العروة الوثقىٰ.

السؤال الثاني: اشرح العبارات لآتية :

- قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لو ما أنزل الله حجة علىٰ خلقه إلا هذه السورة لكفتهم**».
- قول البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب: العلم قبل القول و العمل.
- قول شيخ الاسلام: «**لا يسلم أحد من الشرك إلا بالمبيانة لأهله**».

- توحيد الربوبية هو الدليل الأوضح ، والبرهان الأعظم علىٰ توحيد الألوهية.

السؤال الثالث: ما الفرق بين كل مما يأتي؟

الموحد والمشرك - الإسلام والإيمان - أركان الإيمان وشعبه - الرسول والنبي - الأوثان والأصنام - تارك الهجرة متعمدًا وتاركها لعذر.

السؤال الرابع: أجب عن الأسئلة الآتية بين البسط، والإجمال:

- لا يُعد المرء مسلما حتىٰ يحقق أربع صفات ، ما هي؟
- من هو أول الرسل، وآخرهم إلىٰ أهل الأرض؟
- ما هي المسائل التي تضمنتها سورة العصر ؟ و ما الدليل؟
- ما هي المسائل التي يجب علىٰ المسلم تعلمها والعمل بها؟ وما الدليل؟

نسأل الله لنا ولكم الثبات و الهداية.

محتويات الكتاب

المتن

الشرح

[المرتبة الأولى]

الإسلام

[المرتبة الثانية]

الإيمان

تم بحمد الله